

## مخطط بايبس- ترامب- كوشنير المسمى "صفقة القرن"!

بقلم: ريتشارد فولك»

لا ينبغي أن تكون من أتباع حركة "ليس ترامب مرة أخرى" حتى تصاب بوجع الضمير إزاء طريقة جلب السلام إلى الفلسطينيين واليهود عن طريق خلق الظروف التي ستننتج "صفقة القرن". دعونا نكاد نعدلين، إذا كانت لعنة الأمم تلعب الآن وفقا لقواعد "جادة ماديسون"، فقد كانت هذه العبارة (صفقة القرن) كاسية، ولو أنها ستكون خاسرة إذا ما قُيّمت من منظور حل المشكلات، وحتى في المناخ السياسي الحالي المتدهور، فإن المراهنة على شعار دعائي كبديل عن الأفكار الشائفة، يمكن أن يكون صيغة جيدة لتأمين جحشك كبير لبرنامج في تلافز الواقع، لكنه تهرب قاس عندما يأتي الأمر إلى معالجة المحنة اليومية التي يعيهاها الشعب الفلسطيني كضحية لسياسات دولة العنصرى الإسرائيلية.

السؤال من تبيح ترامب الطنان هو أن هناك على ما يبدو منطقا جيبئًا يمكن خلف هذا الاقتراح المجنون الذي ينبع من المخيلة الصهيونية المتطرفة لدانيال بايبس. وكان بايبس، نُشر قبل بضعة أشهر، عبر "منتدى الشرق الأوسط"، دعوة إلى اعتناق ما سماه "الجانب المنتصر". وقد أدرك بايبس، المفكر الذكي والمدرّب، السبب في فشل مسأله أوصلو الدبلوماسية بشكل كبير كوسيلة لإنهاء الصراع الفلسطينيالإسرائيلي من خلال المفاوضات، وأرفق استنتاجه بتأكيد تاريخي على أن الصراعات المطولة بين الأعداء العرقيين نادرا ما تنتهي بالتسوية أو الوفاق، إنها تنتهي بانتصار على أحد الجانبين، وبقبول الطرف الآخر بالهزيمة.

وهكذا تكون الخدمة، كما خلص بايبس إلى الاعتقاد، هي إقناع الفلسطينيين بالقبول بالكتابة على الجدار، وبأن يعترفوا لأنفسهم وللعالم بأنهم خسروا معركة منع تأسيس دولة يهودية في فلسطين أو جلب ولتتم الخاصة ذات السيادة إلى الوجود. ويقول بايبس: إن نظرة موضوعية إلى العلاقة الدبلوماسية والعسكرية للقوى في فلسطين والشرق الأوسط تُؤكّد هذا التقدير للنتاج السياسي، حتى من دون احتساب الدعم الجيوسياسي الثابت من الولايات المتحدة، التي تزود إسرائيل بدعم غير مشروط لأولويات الأخيرة فيما يتعلق بالفلسطينيين.

بهذا الفهم تصبح الأحجية السياسية التي ينبغي حلها بالنسبة لبايبس عندئذٍ من طبقتين: كيف يتم إقناع الحكومة الأمريكية بالتحول عن جهدها الدعائي الفاشل للتفاوض على حل، إلى نهج يساعد إسرائيل ننتائجها على النجاح في حل فرض، حل وبعد ذلك، كيف تتم ممارسة ضغط إضافي كافٍ على الوضع الفلسطيني على الأرض وعلى الصعيد الدولي، حتى يواجه قانتهم الواقع ويتحول عن مطالبهم السياسية مرة وإلى الأبد، ويصحبوا قانتهم بما سيعرض عليهم عندئذٍ وهو التزام بالتحسين الاقتصادي لظروفهم فحسب.

لدى تأمل هذه الصورة، لا يبدو من المفاجئ كثيرا أن يكون مثل هؤلاء

# ترامب يملأ سلّته بنجاحات داخلية

بقلم: أنطوان الحاج

لم يكن وصول رجل الأعمال، دونالد ترامب، إلى البيت الأبيض عاديا ولا تقليدياً بكل المقاييس، فالرجل الذي كان ديمقراطياً ثم صار جمهوريا لم يكف يوماً عن إثارة الجدل، سواء في أعماله أو زيجاته أو اشتغاله بالسياسة... حتى انتخابه لا يزال موضع تحقيق في تدخّل روسي محتمل لمصلحته فيه. ترتّب على هذه الرئاسة التي توقع لها الكثير من الفشل، مبرزين ذلك بأن ترامب لا يملك خبرة في السياسة، وبأنه انفعالي يتخذ قراراته من دون درس وافٍ، وعلى الرغم من مشكلات متوقعة وأخرى طارئة، لا يمكن الحكم على الرئيس الأمريكي بأنه فشل، بل على العكس يجدر القول: إنه نجح في مجالات عدة، خصوصاً منها الاقتصادية التي شكّلت في نهاية المطاف الجزء الحاسم من عملية الاختيار والحكم السياسيين لدى المواطنين الأمريكيين.

في أي حال، تشكّلت انتخابات منتصف الولاية التي نُجِرى في السادس من تشرين الثاني المقبل امتحاناً كبيراً لترامب ومقاييس أمدى رضا الأميركيين عنه، خصوصاً أنها تشمل كل المقاعد البالغ عددها ٣٥؛ في مجلس النواب، و٣٥ مقعداً من أصل ١٠٠ في مجلس الشيوخ، بالإضافة إلى حاكمية ٣٩ ولاية وإقليما وعدد آخر من المناصب.

بنظرة استعادية، نرى أن ترامب ورث اقتصادا واعدا من باراك أوباما الذي نجحت إدارته في استيعاب آثار أزمة ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ وإرساء أسس اللجوء منها، ثم جاء الرئيس الجديد واتخذ قرارات جريئة لم يندر لاسلفه الديمقراطي، فخفض الضرائب المفروضة على الشركات من ٣٥ إلى ٢١% وتسكك بسياسة الفوائد المنخفضة تشجيعا للاستثمار وأنفق الكثير على البنى التحتية، فكانت النتيجة تحقيق أرقام قياسية على أكثر من صعيد: التضخم ٢,٢%، النمو الاقتصادي في الفصل الثاني من السنة ٤,٢؛ بأعلى وتيرة منذ أربع سنوات، معدل البطالة ٣,٧%، وهو الأدنى منذ كانون الأول ١٩٦٩. وعلاوة على ذلك، قفزت البورصة بنسبة ٢٧% وسط طفرة في أرباح الشركات، واكتملت صورة التعافي الاقتصادي بارتفاع الأجور بمتوسط ٢,٩% على أساس سنوي إلى أعلى مستوى منذ نيسان ٢٠١٩.

يقول لاري كودلو، مدير المجلس الاقتصادي الوطني وكبير مستشاري ترامب: «اعتقد أن التطور المهم هذه السنة هو تحقيق قفزة اقتصادية اعتقد معظم الناس أنها مستحيلة... في أقل من سنتين تحققت هذه الأرقام، وهذا أمر لا يمكن محوه». ويضيف: «عندما ننظر إلى مؤشرات الثقة نستنتج شيئاً

المؤيدين المتطرفين لإسرائيل، مثل الثلاثي كوشنر، فريدمان، وغرينلاند، متقبلين لهذا النهج، وربما كانوا سيتركزون في اتجاه مشابه، حتى من دون مساهمة بايبس، التي تقدم تسويقاً منطقياً متساقاً لخطتهم، وفلنكر في الخطوات التي اتخذتها الولايات المتحدة على مدار الأشهر الثمانية الماضية، وسيظهر نمط يمكن تصوّر أنه يسعى إلى تطبيق اقتراح بايبس عن "الجانب المنتصر":

نقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس، ومهاجمة الأمم المتحدة، بما في ذلك الانسحاب من مجلس حقوق الإنسان بسبب تحيزه المناهض لإسرائيل؛ وتجميد، ثم قطع المساعدات المالية الأساسية عن عمليات وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) في غزة والضفة الغربية، وإغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، وغض الطرف عن جرائم إسرائيل ضد الإنسانية التي ارتكبها رداً على "مسيرة العودة العظيمة" عند سجاج غزة، ووجه التهديدات للحكمة الجنائية الدولية، ومنح مباركة ضمنية للتوسع المستتار للمستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية (التي تجاوز مستوطنها مسبقاً ٦٠٠,٠٠٠)، ليست هناك طريقة أخرى لقراءة هذه السلسلة من المناورات المستفزة سوى أنها سلسلة من الإشارات التي يتم إرسالها إلى إسرائيل الفلسطينيين، وقيل كل شيء إلى قادتهم، بحتمية إدراك عيثة معاناتهم، والتي ستكتشف أكثر وأكثر إذا لم يتصرفوا بعقلانية، ويستسلموا لأي شيء تقترحه إسرائيل لتستكمل المشروع الصهيوني للهيمنة على كل فلسطين التاريخية، في تحقيق للاستحقاق اليهودي "أرض الميعاد" التوراتية.

إن تسمية هذه النوع من دبلوماسية الإكراه على شعب مضطهد مسبقاً "صفقة" هو سفاقة لغوية، إنها في الحقيقة أقرب إلى حيلة منخرنة من كونها صفقة، والتي تتضمن شيئاً بالتقاء الأفكار، وهي ما كتبت قد وصفته في سياق آخر بأنه "جريمة جيوسياسية" والتي تستحق العقاب والإدانة الدولية، وليس التأمل الذي ينبغي أن يمنح لجهد جندي لجلب السلام للشعبين، وفي المستقبل، يغلب أن تُعرف هذه الصفقة بأنها "الشروع في الجريمة النهائية لهذا القرن".

بوضع مشاريع الكرامية لعدم أخلاقية وعدم قانونية هذا النهج الذي ابتكره بايبس/ ترامب/ كوشنر، جانباً، من المهم أن نطرح السؤال المهم: هل "سيئنجح" بالنظر إلى الضلال والمماناة الذين حملهما الشعب الفلسطيني على مدى أكثر من قرن، يبدو أن "جانب (بايبس) المنتصر"، شأنه شأن "صفقة" ترامب، سوف يقابلان بالرفض الممزري، والمصوب غالباً بتجدد درامي للمقاومة الفلسطينية، التي يتم استكمالها بتعبيرات أكثر صلابة للأنشطة التضامنية العالمية مع الفلسطينيين. إذا أخذنا في الحسبان التطوي لمسيرة العودة العظيمة عند حدود غزة، على الرغم من المظاهرات المتكررة التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي الذي "يدافع" عن إسرائيل، والدعم العالمي المتزايد لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات في كل أنحاء العالم، سيبدو من

# ترامب يملأ سلّته بنجاحات داخلية

ما. مقاربتنا هي أننا لا نعاقب الأعمال والشركات، لا نعاقب النجاح، بل نريد أن نجعل ممارسة الأعمال التجارية وإقامة المشاريع وتوظيف الناس أسهل. ولمعتقد أن هذه المقاربة كان لها تأثير إيجابي ملموس للغاية".
في موازاة ذلك، يواصل ترامب خوض حروب تجارية على نطاق واسع، وهنا لا يمكن الحسم والجزم بما إذا كان سيحقق انتصارات فيها كلها. غير أنه حقق فوزاً لا لبس فيه عندما ألغى اتفاقية "نافتا" التي كانت قائمة منذ قرن، وفرض على شريكَي بلاده فيها المكسك، وكندا التفاوض على اتفاق ثلاثي جديد وإقراره بشروط وينود اعتبرها أكثر إنصافاً للولايات المتحدة.

أما الحروب التجارية على جبهات أخرى، فلم تتضح نتائجها بعد، خصوصاً مع الصين، لكن يسجّل البعض لترامب أنه قرر خوضها بلا تردد، فيما يعتبر بعض آخر أنها حروب لا طائل منها وستؤثر سلباً على الاقتصاد العالمي، ولربما كان الهدف من هذه المواجهات عقد اتفاقيات جديدة، ثنائية أو سوى ذلك، تكون كفة الميزان فيها مائلة لمصلحة الولايات المتحدة. وهنا لا يتوانى ترامب عن الذهاب في المواجهة حتى النهاية، ممارساً سياسة حافة العاوية، ومرأها على أن الخضم ستراجع في النهاية ويرسخ.

ينقى في الداخل الأمريكي، حيث قد يقول البعض، إن كثرة الاستقالات من فريق ترامب السياسي تثبت ضعفه وتخبطه، فيرد آخرون بأن هذه الاستقالات اتاحت له تطوير فريقه وتحصينه بجعل أفرادها أكثر انسجاماً معه ببعضهم مع بعض، ومن أنصار الرأي الثاني الكاتب ديفيد غراهام من مجلة "ني أتلانتيك" الذي يلتمت إلى جناح الرئيس في تثبيت ليدن غورساتش وأخيراً بريث كافانو في المحكمة العليا، ضامناً بقاء الأعضاء المحافظين خمسة مقابل أربعة ليبراليين. يضاف إلى ذلك أن ترامب عين في ٢٠١٧ و٢٠١٩ عدداً كبيراً من القضاة الفدراليين في محاكم على عدد امتداد البلاد، ملتزمين سياسات أو فريقين منها.

وذلك، تصدى ترامب لمسألة الهجرة كما لم يفعل رئيس من قبله، ولئن لم ينجح في بناء سور على حدود بلاده مع المكسيك، فإنه نجح في تشديد القيود على الهجرة والحد من الهجرة غير الشرعية، ويكفي هنا أن نذكّر بأن الرئيس وقع في غضون أسبوع من توليه منصبه أمراً تنفيذياً يلغى أولويات الاحتجاز التي حدثتها إدارة أوباما المنتهية ولايتها، باختصار، سمح البيت الأبيض لأجهزة المعنية بالقبض على أي مهاجر غير قانوني، علماً أن هدفه المعلن هو ترحيل ٣ ملايين شخص من المقيمين بصورة غير مشروعة فيما العدد الإجمالي للهؤلاء يقارب ١١ مليوناً.

بعد كل التغييرات الداخلية التي أجراها دونالد ترامب، ها هو يقف الآن

دونالد ترامب مع زوجته ميلانيا

ترامب مع زوجته ميلانيا وابنه إيفانك

ترامب مع ابنته ميلانيا وابنه إيفانك وابنته إيفانكا

## المعقول استنتج أن صفقة القرن قد رفضت قبل أن يتم الكشف عنها، مع كل واجهة عرضها الرثّة، بما فيها الأفكار عن إعادة ترسيم الحدود مع الدول المجاورة، وتجزئة الشعب الفلسطيني بشكل دائم وطريقة تتجاوز أحلك التصورات، وإذا –إذا كبيرة– ثلاثي ترامب من مستشاري شاعر "إسرائيل الأولى" ذكيا بما قد يقدر، فإنه لن يتم الكشف عن الطبيعة المفضلة لهذه الصفقة أمام التحميم العام، والتي سيخترج رفضها المتوقع خلف حملة علاقات عامة من الإدانات الموجهة إلى الرفضوية الفلسطينية، باعتبارها المسؤولة عن قتل خطة ترامب للسلام.

تحت هذه المحاولة لبعد الفلسطينيين يتجرعون هذا الشراب السام، ثمة قراءة مضللة لتدفق التاريخ في زماننا، فقد غربت شمس الاستعمار، وبغض النظر عن القوة الجيوسياسية الذي توضع، فإن هذه حقيقة لا يمكن التغلب عليها، وسوف يؤدي هذا النوع من الجريمة الجيوسياسية بل شك إلى تكثيف المماناة الفلسطينية، بينما يبقى أيضاً عزم الفلسطينيين، وعادة ما تنتقل هذه الأنواع من النزالات للتخلص من الاستعمار في أركان القوة الناعمة التي تنتج التغيير في أغلب الأحيان، وليس من خلال محاولة تغيير الموازين السياسية أو الهيمنة في ميدان المعركة. والناس، وليس الدول وقاتها المسلحة، هم الذين يركون ويهزون صمرنا، بينما تترك الحكومات على الخطوط الجانبية لانتخب على النتيجة. وقد تعلمت الدول الاستعمارية الغربية هذا بالطريقة الصعبة في سلسلة من الحروب الدومية، والتي خسرتها على الرغم من تفوقها العسكري. ولا يزال على الولايات المتحدة، على الرغم من تجاربها في فيتنام، والعراق، وأفغانستان، أن تتعلم بعد حدود القوة العسكرية في العالم ما بعد الكولونيالي، ولذلك تستمر في اختراع الأسلحة، وابتكار التكتيكات والعقائد من دون تعلم هذا الدرس الذي لا غنى عنه عن الطبيعة المتغيرة للوقت.

صحيح أن دبلوماسية "أوسلو" كانت فشلاً ذريعاً، والذي عمل لخدمة المصالح السياسية لإسرائيل، وتم التخلي عنه بشكل مق. لكن استجابة ترامب لهذا الفشل ترقى إلى تجريم الدبلوماسية، والتي تنتهك أكثر التصورات أساسية للقانون الدولي، كما ورد في ميثاق الأمم المتحدة. وهي ترقى إلى حد شن حرب عدوانية ضد أناس مكشوفى الصدور وحو لا حول. وإذا كانت الأمم المتحدة والحكومات القيادية تشاهد هذا الممهذ الكئيب بصمت حجري، فليس لنا سوى أن نأمل بقوة بأن تدرك شعوب العالم الحاجة إلى إجراء إصلاح جذري لتجنب مستقبل كارثي لـيس الفلسطينيين فحسب، وإنما للبشرية جمعاء.

صحيح أن دبلوماسية "أوسلو" كانت فشلاً ذريعاً، والذي عمل لخدمة المصالح السياسية لإسرائيل، وتم التخلي عنه بشكل مق. لكن استجابة ترامب لهذا الفشل ترقى إلى تجريم الدبلوماسية، والتي تنتهك أكثر التصورات أساسية للقانون الدولي، كما ورد في ميثاق الأمم المتحدة. وهي ترقى إلى حد شن حرب عدوانية ضد أناس مكشوفى الصدور وحو لا حول. وإذا كانت الأمم المتحدة والحكومات القيادية تشاهد هذا الممهذ الكئيب بصمت حجري، فليس لنا سوى أن نأمل بقوة بأن تدرك شعوب العالم الحاجة إلى إجراء إصلاح جذري لتجنب مستقبل كارثي لـيس الفلسطينيين فحسب، وإنما للبشرية جمعاء.

صحيح أن دبلوماسية "أوسلو" كانت فشلاً ذريعاً، والذي عمل لخدمة المصالح السياسية لإسرائيل، وتم التخلي عنه بشكل مق. لكن استجابة ترامب لهذا الفشل ترقى إلى تجريم الدبلوماسية، والتي تنتهك أكثر التصورات أساسية للقانون الدولي، كما ورد في ميثاق الأمم المتحدة. وهي ترقى إلى حد شن حرب عدوانية ضد أناس مكشوفى الصدور وحو لا حول. وإذا كانت الأمم المتحدة والحكومات القيادية تشاهد هذا الممهذ الكئيب بصمت حجري، فليس لنا سوى أن نأمل بقوة بأن تدرك شعوب العالم الحاجة إلى إجراء إصلاح جذري لتجنب مستقبل كارثي لـيس الفلسطينيين فحسب، وإنما للبشرية جمعاء.

### عن "فوربين بولييسي"

«عالم في القانون الدولي وباحث في الشؤون الدولية، دُرّس في جامعة برينستون لمدة أربعين عاماً، يتراس منذ العام ٢٠٠٥ مجلس مؤسسة السلام في العصر النووي.



ترامب.

على عتاب الانتخابات النصفية البالغة الأهمية لكي يستطيع مواصلة ولايته بغافية، وبالتالي الاستعداد للانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني ٢٠٢٠. هنا يجدر السؤال: هل سيجتريج ترامب "انتصاراته" الداخلية والخارجية – الأخرية لم ننظر إلى الجناح اليميني وإظهار وحدته في الواقع على قرار الأميركي فوزاً للحزب الجمهوري في الانتخابات؟ وهل سيتنازل أسلوبه الجذري في مقاربة المسائل السياسية والاقتصادية موافقة الناس أم رفضهم؟ الصورة رهاها غير واضحة، فنسبة تأييد الناخبين للرئيس لا تتعدى ٢٥,٠%؛ والهوامش بين الجمهوريين والديمقراطيين صغيرة –في عدد من الولايات، لذلك سيكون على الجمهوريين إظهار وحدتهم في الأسابيع الفاصلة من الانتخابات والاستفادة خصوصاً من تثبيت بريث كافانو قاضياً في المحكمة العليا رغم مزاعم الاعتداء الجنسي، فيما سيعتمد ترامب إلى دعمهم في لقاءات عدة سيشهد فيها على المنجزات الاقتصادية التي تحققت، داعياً الأميركيين إلى مواصلة المسيرة معه، ومدركاً أن الناخب إنما يقترع بناءً على محتويات جيبه...

### عن "الشرق الأوسط"

# الفرصة الأميركية في العراق

وفي نهاية المطاف، كان شخص عراقي صاحب النفوذ الأكبر في المفاوضات؛ ذلك أن آية الله العظمى علي السيستاني، زعيم الحوزة العلمية الشيعية في النجف والبالغ ٨٨ عاماً، هو الذي عبّ الطريق لاختيار عبد المهدي رئيساً للوزراء عندما أصدر بياناً يشدّد على أهمية أن تتضمن الحكومة المقبلة "جوهاً جديدةً" وهو ما كان يعني استبعاد المالكي والعبادي.

والمواقع كتل في الممكن تفهم موقف السيستاني، ذلك أن الحزب الذي فاز بأكبر كتلة في البرلمان في أيار الماضي كان ينتمي إلى رجل الدين المتمرد مقتدى الصدر، وزعيم التمرّد الشيوعي ضد القوات الأمريكية في العراق في ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ الذي صعّد إلى الواجهة كمنتقد شرس للنفوذ الإيراني في العراق خلال السنوات الأخيرة، وقد كانت كتلته التي تضم شيوعيين وآخرين من غير الشيعة، الأكثر انتقاداً للفساد الذي تفتش في المشهد السياسي داخل بغداد.

ولكن الاضطرابات والرغبة في التغيير ازدادت حدة منذ الربيع، حيث قام محتجون بإحراق مبان حكومية، والتنقلية الإيرانية، الشهر الماضي، في البصرة، التي تعدّ ثالث أكبر مدينة عراقية وقبائياً رئيساً لتصدير النفط، وطالبو ومزري من الوظائف، وشبكة عراقية بائنة فعالة، ونهاية للفساد المتشهي، والشهر الماضي، اعتقلت الناشطة الحقوقية سعاد العلي التي كانت من بين منظمي الاحتجاجات، برصاصه في الشارع.

مقتل العلي تزامن أيضاً مع تجدّد التهديدات من ميليشيات مدعومة من إيران ضد الولايات المتحدة، وقد أخبرني مسؤولون أميركيون بأن ثمة احتمالاً متزايداً لإقدام تلك الميليشيات على اختطاف أميركيين في العراق. وهذا أحد العوامل التي دفعت الولايات المتحدة إلى تعليق عملياتها في قمليتها بالبصرة. أما العامل الآخر، فهو الادعاءات الأميركية بأن تلك الميليشيات أطلقت قذائف على القنصلية، الشهر الماضي.



## الصين تحوّل جيبوتي دُبيّ ثانية!

بقلم: هدى الحسيني

في منتصف أيلول الماضي، رفعت جيبوتي الرهانات في نزاعها مع شركة "موانئ دبي العالمية"، وهي هيئة الموانئ المملوكة للدولة في دبي، على أساس أنها تسعى، وهي الدولة الصغيرة الواقعة في شرق أفريقيا، إلى إبعاد أحد مراكز الشحن الرئيسية خارج الدولة الإماراتية.

إذا سلّمنا بالتبرير، فقد يبدو هذا الأمر ليس أكثر من طموح دولة ناشئة، تريد تحرير نفسها من عقد مقيد. لكن إذا تعمّقنا فإن الخلاف له تداعيات جيوسياسية كبيرة، لا سيما بالنسبة إلى الولايات المتحدة. وفي محاولتها افتتال مشكلة مع "موانئ دبي العالمية"، فإن جيبوتي تهدد بإخلال توازن القوى في واحدة من أكثر مناطق العمارة الفلسطينية، بينما يبقى أيضاً عزم الفلسطينيين، وعادة ما تنتقل هذه الأنواع من النزالات للتخلص من الاستعمار في أركان القوة الناعمة التي تنتج التغيير في أغلب الأحيان، وليس من خلال محاولة تغيير الموازين السياسية أو الهيمنة في ميدان المعركة. والناس، وليس الدول وقاتها المسلحة، هم الذين يركون ويهزون صمرنا، بينما تترك الحكومات على الخطوط الجانبية لانتخب على النتيجة. وقد تعلمت الدول الاستعمارية الغربية هذا بالطريقة الصعبة في سلسلة من الحروب الدومية، والتي خسرتها على الرغم من تفوقها العسكري. ولا يزال على الولايات المتحدة، على الرغم من تجاربها في فيتنام، والعراق، وأفغانستان، أن تتعلم بعد حدود القوة العسكرية في العالم ما بعد الكولونيالي، ولذلك تستمر في اختراع الأسلحة، وابتكار التكتيكات والعقائد من دون تعلم هذا الدرس الذي لا غنى عنه عن الطبيعة المتغيرة للوقت.

صحيح أن دبلوماسية "أوسلو" كانت فشلاً ذريعاً، والذي عمل لخدمة المصالح السياسية لإسرائيل، وتم التخلي عنه بشكل مق. لكن استجابة ترامب لهذا الفشل ترقى إلى تجريم الدبلوماسية، والتي تنتهك أكثر التصورات أساسية للقانون الدولي، كما ورد في ميثاق الأمم المتحدة. وهي ترقى إلى حد شن حرب عدوانية ضد أناس مكشوفى الصدور وحو لا حول. وإذا كانت الأمم المتحدة والحكومات القيادية تشاهد هذا الممهذ الكئيب بصمت حجري، فليس لنا سوى أن نأمل بقوة بأن تدرك شعوب العالم الحاجة إلى إجراء إصلاح جذري لتجنب مستقبل كارثي لـيس الفلسطينيين فحسب، وإنما للبشرية جمعاء.

يقول المسؤولون المحيطون بالرئيس إسماعيل عمر جيلة: "إن الحكومة تحاول بحساسة حماية السيادة الوطنية والاستقلال الاقتصادي". إن المعركة التي فتحتها جيبوتي مع "موانئ دبي العالمية"، وسيطرت عليها. لكن "موانئ دبي العالمية" حصلت على أمر قضائي من محكمة بريطانية، حكمت بأن الاستيلاء غير قانوني، كما فازت بحكم منفصل من المحكمة العليا في لندن، يمنع حامل أغلبية أسهم "دورالية"، "مرفا جيبوتي" من إخراجها من العقد. فما كان من حكومة جيبوتي إلا أن ردت بتأمين "شركة مرفا جيبوتي" بمعنى أنها سحبت ميناء "دورالية" من خارج النطاق التجاري.

يقول المسؤولون المحيطون بالرئيس إسماعيل عمر جيلة: "إن الحكومة تحاول بحساسة حماية السيادة الوطنية والاستقلال الاقتصادي". إن المعركة التي فتحتها جيبوتي مع "موانئ دبي العالمية" تتسحق بالتأكيد مع سياسة جيلة المتحممة، التي تسعى لاستغلال موقع جيبوتي، باعتباره بوابة إلى البحر الأحمر وقناة السويس، إذ تقريباً، كل التجارة البحرية بين أوروبا وآسيا التي تبلغ قيمتها نحو ٧٠٠ مليار دولار سنوياً، تمر في جيبوتي إلى أماكن توجيهها، وتريد حكومة جيلة تحويل جيبوتي إلى مركز تجاري إقليمي، لا يختلف في الواقع عن دبي، وهكذا أطلق جيلة نوبة من المشاريع التنموية، وضخ ثلاثة موانئ جديدة في العام الماضي، وأقام مركزاً جديداً لخدمة التجارة الحرة في ميناء "دورالية" المتنازع عليه، ويتوقع أن يكون أكبر منشأة في أفريقيا. لكن خلف خطاب حكومة جيبوتي، يرى المراقبون بدأ خفية تمتد من بكين، والمعروف أن الصين تقوم ببناء شبكة تجارية عالمية من خلال برنامجها الاستثماري "الحزام والطريق"، الذي تبلغ تكلفته تريليون دولار، وتعتبر جيبوتي قطعة أساسية في المشهد الكبير، فهي قناة إلى أفريقيا، وبالتحديد إلى إثيوبيا، إحدى وجهات الاستثمار الصيني الرئيسية. لقد اقترضت البنوك الصينية جيبوتي أكثر من ١,٤ مليار دولار في العامين الماضيين، أي أكثر من ٧٥% من ناتجها المحلي الإجمالي، ومولت عدداً من مشاريع البنية التحتية، لا سيما خط السكك الحديدية إلى أديس أبابا، كما أن الصين بنت منطقة التجارة الحرة الجديدة في "دورالية" بالأموال والقوة البشرية الصينية، وسيتم تشغيلها في مشروع مشترك مع شركة "China Merchants Holdings" المملوكة للدولة.

من غير المستغرب أن تكون هذه الخطوات أثارت غضب "موانئ دبي العالمية" التي هددت الصين باتخاذ إجراءات قانونية بشأن ما اعتبرته محاولة إبعاده عن صفقة "دورالية"، لكن الغضب لا يقتصر فقط على دبي؛ إذ إن هناك مخاوف أيضاً في واشنطن؛ حيث ناقش المشروع وبأسلوب قلق احتمال أن يمنح جيلة ميناء "دورالية" بأكمله إلى الصين كـ"هدية". ولو كان هذا مجرد مسألة تجارية، فإن الأمر لا يبرر عقد جلسة للكونغرس الأمريكي، لكنه أبعد من كونه مسألة تجارية.

لقد قامت الصين بالفعل ببناء قاعدة عسكرية في "دورالية"، بجوار محطة الحاويات، وهذا يسبب مشكلات للولايات المتحدة حيث تقع منشأها العسكرية؛ ويعسكر ليوميه"، الذي يبعد مسافة يمكن قطعها على الأقدام. بالطبع تصر الصين على أن مشروع "الحزام والطريق" هو ببساطة لبناء شركة تجارية في القرن الحادي والعشرين، ويؤكد الرئيس شي جينبينغ أنه سيعامل جيبوتي كشريك على قدم المساواة؛ لكن بالنسبة إلى المتقدين فإن توسع الصين في جيبوتي، واعتبارها شريكاً على قدم المساواة مع الصين، إنما هو لعب بالكلمات شديد السخرية، به تغري الصين "شريكها" الأكثر فقراً في منح الديون بفروض رخيصة، قبّل أن تغلفها لإغراق الأصول ذات الأهمية الاستراتيجية. هذه الإستراتيجية المرفقة بالهدايا استمرت عن حصول الصين على عدد من المرافق الأجنبية الرئيسية، لا سيما ميناء "هامابتوتوتا" في المحيط الهندي، ونلاحظ الآن في ماليزيا كيف أن رئيس الوزراء، مهاتير محمد، ألغى عقدين مع الصين بقيمة ٢٠ مليار دولار تقريباً، كي لا تفرق بلاده في ديون غير قادرة على الإيفاء بها، وها هو أيضاً عمران خان، رئيس الوزراء الباكستاني الجديد، يبحث عن تمويل آخر ليتخلص من مخالب الصين، وكانت أول زيارة له لأجل هذا السبب إلى المملكة العربية السعودية.

أما بالنسبة إلى جيبوتي، فإن ارتفاع نسبة الدين يشكل ٨٥% من الناتج المحلي الإجمالي، ويرجع "الفضل" في ذلك وإلى حد كبير إلى القروض الصينية، ولهذا كان من السهل معرفة السبب الذي جعل المنتقدين يعتقدون أن "دورالية" ستهذب إلى الصين بالطريقة نفسها التي خسرت فيها سريلانكا ميناء "هامابتوتوتا". إذا حدث هذا فقد يكون كارثياً بالنسبة إلى الولايات المتحدة التي كانت تركز على الصين التي وجهت التهمة اليبرز من الدرجة العسكرية إلى طيارها المقاتلين فوق جيبوتي.

وبينما يهدد الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، بجولة جديدة من العقوبات على الصين، فإن تهديد الصين، عبر جيبوتي، غير مرحب به على الإطلاق، ويمكن أن يعمل على تقويض نفوذ واشنطن في مواجهتها الحادة مع بكين. والأكثر من ذلك أنه يأتي في وقت تقف فيه الحكومة الصومالية على حافة الانهيار، مع استمرار الحرب الأهلية في اليمن؛ حيث ترى فيها إيران فرصة للتعبير عن عدائها للملكة العربية السعودية والأميركا أيضاً.

يعد "ممسكر ليومونه" نقطة انطلاق لكل من الصومال واليمن، وتحتاج الولايات المتحدة إلى الوصول الكامل من غير أي عائق إلى "ممسكر ليومونه"، الآن، أكثر من أي وقت مضى.

قد يقول البعض: إن جيبوتي صغيرة للغاية، لإشغال مواجهة بين الولايات المتحدة والصين؛ لكن نسبي هذا البعض أن الصين اليوم بالنسبة إلى الولايات المتحدة، هي كما كان الاتحاد السوفياتي خلال أزمة الكوبنيز.

أميركا تتهم الصين بأنها تتخد، وهذه تنفي بحجة بناء "الحزام والطريق"، لهذا تزداد الأسئلة حول التوتر الأميركي الصيني، وعماً إذا كانت الحرب هي نهاية اللعبة في بحر جنوب الصين" وفجأة، وفي ظل هذا الخضم الواسع من التوترات، تبرز جيبوتي جالسة في الخاضع الصيني!

### عن "الشرق الأوسط"